

مرجعية التصرف في ترجمة العناصر الثقافية للنصوص الأدبية

The back ground of manipulation in translating cultural elements within literary texts

عبد الحليم فاروق العيادي *
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر

Farukt68@yahoo.fr

| المعلومات المقال | الملخص: |
|--|--|
| <p>الكلمات المفتاحية:</p> <ul style="list-style-type: none">✓ ترجمة أدبية✓ بعد ثقافي✓ أيديولوجية✓ قرارات المترجم وخياراته. | <p>للنص الأدبي خصائص لغوية تحمل في ثناياها المميزات الثقافية المحددة لهوية المجتمعات وتاريخها، وتطرح إشكالية ترجمية تتصل بطريقة التعامل مع هذه العناصر. وغالبا ما تُشكّل ترجمة هذه العناصر حجر عثرة أمام المترجمين، جعل بعض المنظرين يفترض عدم قابلية هذا النوع من النصوص للترجمة نظرا للصعوبات التي تصاحبها، إلا أن الإنسان ما انقطع عن ممارستها لحاجته إليها. أردنا من خلال هذه الورقة مقاربة السؤال الذي طالما لازم نظرية الترجمة المتصل بكيفية نقل المميزات الثقافية من بيئة إلى أخرى محاولين فهم طبيعة العقبات ورصد منهجية (أو مناهج) ترجمتها وفق استراتيجية تُلبّي الهدف المرجو من العملية، وإدراك الخلفيات والرهانات التي تفرضها الأيديولوجية في الممارسة الفعلية للترجمة.</p> |
| <p>Article info</p> <p>Received 11/02/2022</p> <p>Accepted 14/05/2022</p> <p>Keywords:</p> <ul style="list-style-type: none">✓ literary translation –✓ cultural dimension –✓ ideology –✓ decisions and choices of the translator. | <p>Abstract : (not more than 10 Lines)</p> <p><i>This Literary texts have linguistic features carrying within them the cultural characteristics that define the identity and the history of societies, they pose a translating problem linked to the way to transfer culture that often constitute an impediment for translators. This reality leads some theorists assume that this type of texts are untranslatable due to the difficulties that go with. In this paper, we tackle the problematic of cultural elements transfer in translation theory, trying in this context to understand the nature of obstacles, to expose translating method(s) within the strategy that comes up to the aim of the process, as well as to reveal the back ground and the challenges put forward by ideology in the actual practice of translation.</i></p> |

مقدمة:

تظل الترجمة نشاطا يكتسي أهمية بالغة ويلقى انتشارا واسعا لأنه يتكفل بنقل الآثار الأدبية من مجتمع لآخر مؤديا بذلك دورا هاما في مد الجسور بين الثقافات، وزيادة الوعي والتفاهم والتوافق بينها. غير أن الاهتمام بأدب اللغات الأخرى يتطلب مراعاة المشاكل الجدية

التي تُواجه ترجمة الأدب وتقصّي صعابها، لأنها تفرض على المترجم التعامل مع نص يتضمن عناصر لغوية وثقافية تعكس فكر المؤلف ونظريته إلى العالم وببئته، ولا يمكن له بأي حال من الأحوال أن يتجاهلها حتى لا تؤول الترجمة إلى الفشل. ونود الإشارة في هذا الإطار إلى أننا قد صادفنا على البوابة الجزائرية للمجلات العلمية على الأقل مقالين نُشرا بمجلتين مختلفتين تحت عنوان "البعد الثقافي في الترجمة"، وبالرغم من إحاطتهما بالجانب النظري للموضوع والأساليب المتاحة لترجمة المميزات الثقافية، إلا أن الجانب العملي من الدراسة لم ينل نصيبه الكافي ولم يتضمن تحديداً أو شرحاً للإكراهات الميدانية والفعلية التي تتحكم في ترجمة الخصائص الثقافية للنصوص الأدبية. والحال أن هذه العقبات لا تنحصر في الجانب اللساني أو الثقافي قد يستطيع المترجم تجاوزها سواء بتذليل الفوارق أو التقريب بين الثقافات بما تيسر من الأساليب الترجمة المتاحة، بل هناك خلفيات وعوامل خارج لسانية تُحدّد اختيارات المترجم ومواقفه وترسم مسارا لترجمته وكذا الهدف منها. حيث تقع هذه الاختيارات بوعي أو بدون وعي منه تحت وطأة الأيديولوجية المحدّدة لمناهج الترجمة، فإمّا أن يتصدى لها قصد الانفتاح على ثقافة الآخر، وإمّا العمل تحت تأثيرها وبالنتيجة يحصل التمرکز حول الذات والتنكر لثقافة الآخر.

2. البعد الثقافي في النصوص الأدبية

فضلا عن المميزات اللغوية والنصية المرتبطة بالتأليف الأدبي تجعل من الأدب أدبا، نجد اللغة الأدبية أنها ذات صلة وطيدة « بمعتقدات وثقافة وتاريخ المجتمعات والوعاء الذي يحويها ويحفظ مميزاتها والعنصر المحدّد لهويتها، لأن اللغة هي الوسيلة الرئيسية التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية، وترتبط عند استعمالها في سياقات التواصل ارتباطا وطيدا بالثقافة ... وأن المفردات التي يستعملها الأفراد تجد مرجعيتها في الخبرات المشتركة». (KRAMSCH, 1998, p3)

فإذا كانت اللغة الوسيلة الرئيسية التي يتعامل بها أفراد المجتمع والوعاء الذي يحمل كل خبرات الجماعة وتجاربها من خلال ألفاظها وتعابيرها، فلا « يُمكننا فهم هذه الألفاظ والتعابير إلا بمعرفة تلك الثقافة». (كريم زكي حسام الدين، 2001، ص13) ويؤكد على سبيل المثال اللغويون في مدرسة براغ للدراسات اللغوية أو المدرسة السياقية البريطانية هذه الرؤية حين نظروا إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافة. فهي بذلك تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الثقافة بحيث لا يمكن فهم المعنى في أي لغة من اللغات إلا بإرجاعه إلى السياق الثقافي الذي جاء فيه. (HOUSE, 2018, p47) ذلك ما يستدعي إضافة بعد ثقافي للترجمة الأدبية يتطلب إدراك شحنة المعاني ضمن ثقافة النص الأصل ولغته، ونقل هذه الشحنة من خلال مادة لغوية مناسبة لقراءة النص الهدف.

ومنه، أصبح الأدب بصفته شكلا من أشكال الإبداع البشري، مرآة للمعطيات الاجتماعية والحضارية والثقافية لمختلف الشعوب لما تحمله النصوص في ثناياها من مميزات لغوية وثقافية تجعل الترجمة لا تقبل الانحصار في نظرية لغوية ضيقة، لا ترى فيها إلا مجرد نقل للمعنى تحتويه مجموعة من الرموز اللغوية، جعلت ترجمته تتطلب بالإضافة إلى اللغة، جملة من المعايير غير اللسانية تتصل أساسا بالواقع الاجتماعي والثقافي تنعكس من خلالها مدى صعوبة أو عدم قابلية المميزات الثقافية للترجمة المتصلة بمفهوم التبادل بين الثقافات. غير أن نشاط الترجمة عمل أكدته الحاجة وبرهنت عليه الممارسة عبر التاريخ، وعززته التطورات التي شهدتها الدرس الترجمة واقترانه خاصة بمجال الدراسات الثقافية اعتبارا للبعد الثقافي الذي عُدّ عنصرا فعّالا في العملية الترجمة. وها هو نايدا (Nida) يؤكد على «أن الاختلاف الجذري بين اللغات والثقافات قد يعيق عملية إعادة كتابة وبشكل ملائم نصا كتب في لغة الأصل، إلا أن ما يربط الجنس البشري أكبر مما يُفترق بينهم» (Nida & Taber, 1969, p4) لتتكون بالتالي قاعدة للتواصل حتى بين الثقافات المختلفة. أما الفيلسوف الإسباني أورتيقا (Ortega) فيرى بأن «الصعوبة والمشقة التي تكتنف نشاط الترجمة لا تمنع ممارستها، بل تعد تأكيدا وإشادة برونقها». (Hurtado Albir, 1990, p20)

لقد «كان جل المترجمين على دراية بالمشاكل المتنوعة التي يطرحها الاختلاف اللغوي والثقافي، غير أنهم ما انتهوا عن ممارستها رغم كل المعوقات، يقينا منهم أنه لا يمكن لأي ثقافة أن تقوم بمعزل عن غيرها من الثقافات». (إ. ز خورشيد، 1975، ص3)

3. البعد الثقافي في الترجمة

انصبَّ اهتمام الكثير من الباحثين على العنصر الثقافي الذي يجعل الترجمة تُصاحب موضوعاً معقداً لا يكفي فيه حضور الجهاز اللغوي بمعزل عن الجهاز السوسيو ثقافي، لأنها تتلازم وسياق ثقافي يحتم إضافة الأفق غير اللساني إلى نظرية الترجمة.

ولا تنحصر الإكراهات التي تتخلل ترجمة النصوص الأدبية بخصائصها في عقبات لسانية أو ثقافية فحسب قد يستطيع المترجم تجاوزها سواء بتذليل الفوارق أو التقريب بين الثقافات بما تيسر من الأساليب الترجيحية المتاحة على غرار أسلوب الاقتراض أو التكيف *adaptation*، بل تتعداها إلى طرح إشكالية ثقافية لارتباط هذه الممارسة بعلاقة الآداب بعضها ببعض وبالأيديولوجية أي بالسياسة التي لا تقتصر على الأمن القومي أو الاقتصادي، بل سياسة ثقافية وسياسة في الأدب والترجمة. ويأخذنا الحديث في سياق سياسة الترجمة، إلى الإشارة لتلك العوامل التي تحكم اختيار أنواع النصوص، ليتم نقلها من خلال الترجمة إلى لغة/ثقافة معينة في زمن معين. ويمكننا الإقرار بمدى وجود هذه السياسة بقدر ما كان الاختيار موجهاً ومدروساً. (TOURY, 2000, p202)

لم يبق أثر الأيديولوجية ذلك المبحث الهامشي في الدراسات الترجيحية، إنما نجده قد أخذ المركز فيها إلى حد جعل بعض علماء الترجمة يؤكدون بأن للمترجم دائماً مواقف تعكس أيديولوجية الثقافة المستقبلية. (House, op.cit, p54) وغالباً ما تكون الترجمة كما أكدته الممارسة ذات نزعة مثلها مثل أي فعل تواصل، أملت على المترجم أن يأخذ اتجاهها يستجيب للهدف المرجو من الترجمة وموقفاً إزاء المتلقي، لغته وثقافته عبر قراراته وخياراته، وهي بالتالي تجعل النصوص تفقد بدرجات متفاوتة شيئاً منها. وتتجسد هذه الممارسات عبر استراتيجيات تتباين بتباين المنهجية أو النظرية التي تملها الرهانات على المترجم ويظهر إثرها موقفه من الترجمة.

استناداً لما سبق، تبين أن إشكالية ترجمة البعد الثقافي تُثير خلفية أيديولوجية تتطلب إما التحكم في البعد الأيديولوجي المُحدّد لأساليب الترجمة على غرار مفهوم أنطوان برمان (Antoine Berman) في الترجمة الأدبية الداعي إلى الأمانة للنص الأصل والانفتاح على ثقافة الآخر بالتصدي لنزعة التمركز حول الذات، وإما العمل تحت تأثير أيديولوجية تنكر لثقافة الآخر وتعكس أفكار المترجم ونظرته إلى العالم وتاريخه وبيئته وعقيدته وثقافته، كما هو الحال في مفهوم إعادة الكتابة *rewriting* الذي أسسه أندريه لوفافر (André Lefèvre) والذي يبرز فيه أثر الأيديولوجية في كل الخيارات التي يقوم بها المترجم.

1.3 مفهوم أنطوان برمان في الترجمة الأدبية

يعد أنطوان برمان من دعاة الحرفية في الترجمة. وقد اكتسب مفهومه النابع من ممارسته الخاصة للترجمة مكانة خاصة في حقل الدراسات الترجيحية، وسعى في ظل أنواع العقبات التي تواجه الترجمة إلى تعريفها في السياق الثقافي، حيث تأبى حسب رأيه كل ثقافة الرضوخ للترجمة وإن كانت في حاجة ماسة إليها. (Berman, 1984, p15) كما يرى أن الهدف من الترجمة يتمثل في فتح حوار مع الآخر عبر الكتابة وتلقيح ما هو ذاتي بواسطة الأجنبي، الأمر الذي يصطدم رأساً بالنزعة العرقية *Ethnocentrism* التي تثيرها نرجسية تدفع بكل ثقافة للشعور بأنها ثقافة كاملة مكتفية بذاتها، إذ تريد كل ثقافة أن تكتفي بذاتها وهي تسعى انطلاقاً من هذا الاكتفاء الوهي أن تهيمن على الآخرين وتمتلك إرثهم الثقافي على منوال الثقافة الرومانية القديمة والثقافة الفرنسية الكلاسيكية وثقافة أمريكا الشمالية. والحال أن الترجمة، حسب برمان، تحتل في هذا الوضع مكاناً مهماً لأنها تخضع لإيعاز التملك يجعلنا نحصل على ترجمات ترتكز على الذات *Ethnocentric* أو ترجمات يصفها بالترجمات السيئة *Bad Translations*،

ثم نجد أن هذا الإيعاز يتعارض بصفة طبيعية مع الهدف الأخلاقي للترجمة لأن جوهرها يكمن في كونها انفتاح وحوار وتمازج ولا تركز. (Berman, 1999, p16) ومن أهم مقومات مفهومه البعد الأخلاقي في الترجمة، والترجمة الحرفية.

أولاً: البعد الأخلاقي في الترجمة Ethic dimension in Translation:

عمل أنطوان برمان على بلورة تصور مناهض للتمركز العرقي في الترجمة الذي يتم وفقه إرجاع كل شيء إلى ثقافة المترجم ومعاييرها التي تعتبر كل غريب سلبي يتعين إخضاعه للثقافة المستقبلية ونقله لإثراء تلك الثقافة. (Berman, ibid, p29) ويعد هذا التطور في نظريات الترجمة بمثابة منعرج أخلاقي Ethic Turn وقّع أنطوان برمان على شهادة ميلاده بصور كتاب "امتحان الغريب l'Epreuve de l'Etranger" سنة 1984. يُطلق مصطلح الأخلاق في حقل الترجمة حسب شلايرماخر على البعد الثقافي للترجمة، ولا ينحصر الأمر في علاقة أخلاقية مع الآخر لكن مع لغة وثقافة أخرى. (Schleiermacher, 1999, p22) ويرى أنطوان برمان بأن الأساس النظري لمفهوم الأخلاق في الترجمة هو استظهار هدف الترجمة في الشكل المنوط بها والتأكيد عليه والدفاع عنه. وعند السؤال عن فحوى البعد الأخلاقي في الترجمة، نجده يتعلق بمفهوم الأمانة والدقة اللتين تُجسدان رغبة المترجم في الترجمة، إذ لا يمكن حصر معنى الترجمة في مفاهيم الاتصال أو نقل الرسالة أو إعادة الكتابة فقط. ولا تأخذ الترجمة معناها الحقيقي إلا إذا رافقها بعد أخلاقي يُسيرها. (Berman, 1984, p17)

ربط برمان البعد الأخلاقي في الترجمة بمبدأ الاعتراف بالآخر، وأعطى الامتياز للعلاقات بين الثقافات ولما هو "ذاتي" مع "الآخر"، لأن طبيعة الترجمة تحمل مفهوم الانفتاح والحوار والتمازج واللاتمركز، مؤكداً على أن الفعل الأخلاقي في الترجمة يتمثل في الاعتراف وفي قبول الآخر كما هو واستقباله في غرابته بصفته غريب بدلاً من إبعاده أو محاولة الهيمنة عليه. (Berman, 1999, p74)

ثانياً: الترجمة الحرفية عند أنطوان برمان Literal Translation:

إذا كان البعد الأخلاقي للترجمة يقوم على أساس استقبال الأجنبي والحوار مع الآخر، فلا يسع المترجم في هذه الحالة إلا التقيّد بحرفية النص، إذ يرتبط مفهوم الأمانة والدقة حسب برمان بحرفية النص ضمن الهدف الأخلاقي للترجمة واستقبال تلك الحرفية. وإذا كانت الأمانة هي التي تجسد الهدف من الترجمة، فهي لا تكون إلا بالوفاء للكلمة وليس للمعنى. حاول أنطوان برمان شرح تصوره للترجمة الحرفية في كتابه "الترجمة والكلمة أو ملاذ الغريب" La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain (1999) بوصفه مفهوماً يحمل مظاهر خاصة لاستراتيجية تهتم بغيرية النص الأصل وبنظامه وغبابته منطلقاً من المسلّمة التي تعتمد على ترجمة الحرف. إلا أن الترجمة الحرفية لا تعني النقل كلمة بكلمة، (Berman, ibid, p25) إنها بالأحرى طريقة شبه حرفية تأخذ بعين الاعتبار اختلاف التركيب بين الأنظمة اللغوية ورصيداها التراثي. والمقصود بهذه الطريقة هو إدراج جمل صحيحة وسلسة وواضحة منسوجة على منوال اللغة المترجم منها ومتطابقة معها في أجزاءها مع ضرورة الحفاظ على الحد الأدنى من هندسة الجملة بحيث لا يتأثر المعنى ولا يختل التركيب. فهي حرفية لها خصوصيتها تسعى إلى إبراز غرابة النص الأصل. ويؤكد برمان على أن الترجمة الحرفية لا تعني الترجمة كلمة بكلمة، مستشهداً في ذلك بترجمة الأقوال المأثورة والأمثال الشعبية التي يمكن أن تجد لها مكافئات في لغة أخرى، حيث يجد المترجم نفسه في حيرة بين اختيارين: إما محاولة إيجاد مكافئ احتمالي، أو ترجمته ترجمة حرفية. في حين أن ترجمة قول مأثور لا تقتصر على إيجاد مكافئ لكل كلمة، بل تستدعي كذلك ترجمة مميزات أخرى منها النسق والجناس الصوتي والطول (أو القصر). (Berman, ibid, p14)

من أهم ما يبرز في مفهوم أنطوان برمان مبدأ الأخلاق في الترجمة بوصفه مبدأ يضمن تفعيل عملية التلاقي بين الشعوب، والحرفية التي تعمل على إثراء اللغات والثقافات. يرى برمان أن الترجمة تنتسب في أصلها إلى البعد الأخلاقي، وهي تثير في جوهرها الرغبة في الانفتاح على الأجنبي بغرابته وعلى لغته الخاصة بالرغم من أن منطق العلاقات والتبادل الذي يتم فيه تلقيح ما هو ذاتي بواسطة الآخر يصطدم بمقاومة متأصلة في تركيبة النزعة العرقية الخاصة بكل ثقافة متمسكة بالحفاظ على انكفاءها. إلا أن أنطوان برمان قد أكد بأن للعمل الترجمي منطق آخر وهو منطق الأخلاق.

2.3 مفهوم الترجمة وإعادة الكتابة (الترجمة الإبداعية) Translation as rewriting

انتقل الاهتمام نتيجة تطور النظرية الترجمية من الجانب اللغوي البحت إلى تفاعل الترجمة بالثقافة بصفته عنصرا فعّالا في تحديد مسارها، يتم التعامل من خلالها مع النص من جانبيه الثقافي والسياسي، مشكلا بذلك نقطة تحول كبرى شهدها الدرس الترجمي ضمن مفهوم « المنعرج الثقافي The Cultural Turn » معلنا عن تغيير في مناهج الممارسة تحت تأثير الدراسات الثقافية التي باتت مرتبطة بحقل الترجمة. فالنظرة إلى الترجمات على أنها انعكاس للسياق الاجتماعي الذي نشأت فيه أو على أنها نتاج مواقف المترجم هي نظرة متداولة ومعروفة، حيث سبق لـ كاتفورد Catford الإشارة إليها مثلته مثل أغلب المنظرين في المدرسة الوظيفية للترجمة. أما الجديد في الأمر فهو التركيز على أن الثقافة قد أصبحت مسرحا للصراع الأيديولوجي ... وعلى الكيفية التي تعمل بها "المعاني" في النصوص على إقامة علاقات القوة والهيمنة والحفاظ عليها. (House, op.cit, p52)

يُعد أندريه لوفافر من أبرز المنظرين في مجال الأدب وأحد رواد المقاربة الثقافية في الدراسات الترجمية، وأكبر المهتمين بالبعد الأيديولوجي في الترجمة. وقد نشأت بين يديه فكرة الترجمة باعتبارها شكلا من أشكال إعادة الكتابة rewriting التي استمدّها من نظرية تعدد النظم لإيفان زوهار Even Zohar و توري Toury وأعاد تعريف مفاهيم النظام الأدبي والمعايير. (Venuti, 2000,p217) وقد عرض لوفافر من خلال بحثه علاقة الترجمة بالثقافة مركزا محور اهتمامه خاصة على معاينة العوامل الحقيقية التي تتحكم في تلقي وتقبل أو رفض النصوص الأدبية على غرار القوة والأيديولوجية والمؤسسات، وعلى عملية التصرف Manipulation. كما يعتبر «الترجمة في واقع الأمر أنها إعادة كتابة للنص الأصلي، ومهما كان الغرض منها، فهي عملية تعكس أيديولوجية وشعرية معينة وبالتالي تنزع إلى التحكم والتصرف في الأدب ليتبوأ وظيفة في مجتمع معيّن وبطريقة معينة». (Lefèvre, 1992,p xi)

ويرى أيضا أن الشعوب التي تحتل مواقع القوة هي التي تعيد كتابة الأدب وتتحكم في استهلاكه. ولعل الدوافع الأساسية لاستعمال هذا الأسلوب قد تكون ذات مرجعية أيديولوجية Ideological تتم فيها مسaire أو مخالفة الأيديولوجية المهيمنة، أو تكون ذات مرجعية شعرية Poetological. ومعناه أن إعادة الكتابة هي إما ذات دوافع أيديولوجية أو شعرية أو أنها مقيّدة بكلا الدافعين. ومثال ذلك، أشار لوفافر إلى أعمال إدوارد فيتزجيرالد Edward Fitzgerald مترجم أو بالأحرى معيد كتابة أشعار عمر الخيام في القرن 19، الذي أباح لنفسه حرية الترجمة بهدف ترقية النص الأصل، وفي الوقت نفسه مطابقة تقاليد الكتابة الأدبية عند الغرب في زمانه والانصياع لها انطلاقا من قناعته بأن ثقافة الفرس أدنى مرتبة من ثقافة الغرب. (Munday, 2001,p127) ويؤكد لوفافر بأن أسلوب إعادة الكتابة هو الأسلوب الأكثر شيوعا والأكثر تأثيرا في ممارسة الترجمة لأنها جديرة بإبراز صورة المؤلف و/أو أعماله في ثقافة أخرى، والتعريف بهذا المؤلف أو تلك الأعمال خارج حدود الثقافة الأصل. (Lefèvre, 1992a,p 9)

ويُعرف تقنية إعادة الكتابة أو الانعكاس Refraction على حد تعبيره بأنها عملية تكييف العمل الأدبي إلى جمهور مختلف بقصد التأثير على الطريقة التي يقرأ وفقها الجمهور المستهدف هذا العمل. (Lefèvre, 2000, p235) ويرجع بنا الأمر في هذا السياق إلى الحديث عن الترجمات المُنمقة التي تُخضع النصوص إلى التحسين بغية إنتاج أعمال تكون أرقى وأجمل من الأصل، وعادة ما يحدث ذلك بتكييف تلك النصوص مع النماذج الأسلوبية والجمالية السائدة في آداب الثقافة المستقبلية وذوقها. وقد عُرفت هذه العملية منذ مائتي سنة خلت باسم الحسنات الخائئات (Les Belles Infidèles)، وفي بداية القرن العشرين بالتكييف (Adaptation)، وهي تعرف الآن بإعادة الكتابة إذ لم يتغير فيها سوى الدال. (Mounin, 1976, p31)

وحسب جورج باستن، «يُمكن تعريف عملية التكييف أنها مجموعة من العمليات الترجيحية التي يتمخض عنها نص لا يمكن إدراجه في مصف الترجمات، لكن يتم بالرغم من ذلك الاعتراف بأنه نص يعادل الأصل». (Bastin, 2001, p5) ومعنى ذلك أن التكييف هو استراتيجية تُستعمل فيها أساليب ترجمة استعمالا ممنهجا ومقصودا، على غرار تقنية الحذف والتوسيع والتحديث والتكافؤ السياقي والإبداع يتم به استبدال كَي للخطاب في النص الأصل بخطاب لا يحتفظ سوى برسالة النص الأصل وأفكاره وظائفه الأساسية. (Bastin, ibid, p.7)

لا يزال مفهوم التكييف يثير الكثير من الجدل بين معارض يصفه بالإجراء السلبي لاتصاله في غالب الأحيان بعمليات تشويه وهدم النصوص الأصلية والتصرف فيها، أو عمليات الحذف والإضافة أو التكييف إلى ما هو محلي، وبين مؤيد يُشيد بدوره في نقل الأدب الكلاسيكي وديمومته لأنه السبيل الوحيد الذي حال دون اندثاره على ممر القرون.

جاءت أعمال لوفافر لتثبت تلازم عنصر الثقافة بالترجمة، وهي من أكثر الأعمال دلالة على تغلغل البعد الأيديولوجي في الترجمة وتأثيره وتحكمه فيها، ليتحول مركز الاهتمام خاصة في الترجمة الأدبية على مدى تحكم اللغة الهدف في مسارها، وعلى المعايير والإكراهات التي تتحكم في إنتاج وتلقي الأعمال المترجمة، لأن كل ترجمة تقتضي من وجهة نظر الأدب الهدف، اللجوء إلى عمليات التصرف (Manipulation) في النص المصدر من أجل تحقيق غاية الترجمة حتى لو اقتضى الأمر إخضاع النص الهدف للتشويه. والتصرف حسب فان دايك عملية خفية لها تأثيرها على عقول المتلقين من خلال نشر بعض المعتقدات والقيم والسلوكيات أو الأيديولوجيات عبر العالم، سواء كان ذلك بإدراك المتلقين وفهمهم للأغراض المرجوة منها أو عدمه. كما سلط فان دايك الضوء على البعد الإدراكي في التصرف لأن هذا الإجراء حسب رأيه عادة ما يقتضي نوعا من السيطرة على العقول أي معتقدات المتلقين مثل المعارف والأراء والأفكار التي تفضي بدورها إلى التحكم في أعمالهم، والتأثير بشكل مباشر على سلوكيات وأيديولوجيات أفراد المجتمع. (Van Dijk, 1998. p260)

انطلاقا من هذه الفرضية، يُمكن القول أن الأعمال التي تنطوي تحت عملية التكييف والتصرف تُنتج ترجمات يصبح فيها النص بعد ترجمته جزءا من ثقافة وأدب اللغة الهدف. وما دامت الترجمة موجهة للقراء في الثقافة الهدف، فمن الطبيعي جدا أن يعرض المترجمون نظرتهم وفهمهم للعالم وطريقتهم في التعبير. وأن العناصر الثقافية هي من بين العناصر الأكثر خضوعا لهذه العملية أثناء الترجمة. وفي سياق الحديث عن علاقة الخيارات المعجمية والنحوية بالسياق الأيديولوجي والسوسيو- ثقافي، تعد «المفردات دون شك أحد أهم مظاهر التعبير الأيديولوجي في الخطاب» (Van Dijk, ibid, p270)، لأن تشفير الأحداث بواسطة اللغة يستدعي اختيارات لغوية من بين خيارات أخرى متاحة، وهي ذات دلالة أيديولوجية. ومنه، يتأكد أثر الأيديولوجية في الخيارات المعجمية والنحوية لأنها في الواقع متاحة لجميع مستخدمي اللغة، غير أن اختيار كلمة على حساب أخرى قد يكون

مؤشرا على موقف أيديولوجي معيّن. ومن شأن كل اختيار أن يتضمن بعدا أيديولوجيا، وهو يُبرز بالدرجة الأولى التبعات الأيديولوجية لهذا الاختيار. (Hatim & Mason, 1997, p120) كما تجدر الإشارة إلى أن التصرف يتم عبر إجراءات تهدف إلى فرض أيديولوجية معيّنة سواء كان ذلك بإدراك المتلقين وفهمهم للأغراض المرجوة منها أو عدمه.

وقد نوّه لوفافر أن إعادة الكتابة هي عملية تصب في خدمة السلطة (القوة)، وفي جانبها الإيجابي يمكن أن تساهم في تطور الأدب والمجتمع، وبفضلها تتوافد مفاهيم وأجناس أدبية وآليات جديدة، لأن تاريخ الترجمة هو في الوقت نفسه تاريخ الإبداع الأدبي وانعكاس لهيمنة ثقافة على أخرى. في حين، يمكن لعملية إعادة الكتابة أن تتسبب أيضا في كبح الابتكار والتشويه والاحتواء، وستسمح لنا دراسة عمليات التصرف في الأدب عبر الترجمة في زيادة الوعي بالعالم الذي نعيش فيه في غمرة العصر الذي لم يشهد له مثيلا في تزايد ظاهرة التصرف بجميع أنواعه وأشكاله. (Lefèvre, 1992, p xi)

ولا يفوتنا التذكير بدور شركات الطباعة والنشر وعلاقتها بتلقي ونقد الترجمات، إذ أصبح للتلقي والنقد وكذا سلطة دور النشر دورا كبيرا في تحديد مسار الترجمة. كما أن دور النشر التي تُسَيّر بطبعها وفقا للمنطق التجاري الخاضع لمبدأ الربح والمنافسة كغيرها من المؤسسات، تعتبر الترجمة الأدبية مثلها مثل باقي المؤلفات عبارة عن نشاط اقتصادي يحكمه الجانب المالي، ويقتضي هذا المنطق في بعض الأحيان فرض اختياراتها حتى لو تطلب الأمر إزالة كل أثر لكاتب النص الأصل.

4. خاتمة:

يعد الأدب بصفته شكلا من أشكال الإبداع البشري، مرآة للمعطيات الاجتماعية والحضارية والثقافية لمختلف الشعوب لما تحمله النصوص في ثناياها من مميزات لغوية وثقافية تجعل الترجمة لا تقبل الانحصار في نظرية لغوية ضيقة تقتصر على نقل للمعنى تحتويه مجموعة من الرموز اللغوية. فالعمل الترجمي يتطلب بالإضافة إلى التحكم في اللغة، جملة من المعايير غير اللسانية تتصل أساسا بالواقع الاجتماعي والثقافي. لقد اقترنت صعوبة ترجمة النصوص الأدبية بنقل العناصر الثقافية، وهكذا ظلت رهانات التثاقف في قلب التفكير الذي يصاحب حاليا الممارسات الترجمية التي يفرضها كل انتقال لغوي بين نصوص تم إنتاجها ضمن سياقين ثقافيين مختلفين، حيث جلبت إليها أنظار المنظرين عبر العصور وانصبّ عليها الاهتمام لتكون طريقة ترجمتها بمثابة المعيار الذي يتوقف عليه نجاح الترجمة. وفي هذا الباب، تفرقت آراؤهم بين مؤيد للحفاظ على معاني الأصل وأصالته بكل مميزات اللغوية والثقافية، وبين داع إلى التكيف والتصرف حتى ترقى الترجمة إلى أفق انتظار القارئ في الثقافة المستقبلية. والحقيقة أن الثقافات تكتسب خصائصها باحتكاك بعضها ببعض، ولا يتجسد ذلك فعليا إلا بتقوية الوعي بضرورة التلاقي في مساحة ترى كل ثقافة نفسها تنعكس في مرآة ثقافة أخرى تلتقي بها. وفي هذا السبيل، تنفتح الآفاق لمفهوم "الغيرية" الذي يعد مفهوما جوهريا في المبحث الثقافي، وتتحدد مختلف المظاهر التي تأخذها "الغيرية" في الترجمة وفقا للأسلوب الترجمي الذي نختاره، فهي تأخذ أشكالا متميزة لا يمكن إدراكها إلى حين تمظهرها فعليا في الممارسة، فترجمة "الأخر" تعني أن تأخذ "الغيرية" حقها دون إخضاعها للفرصيات المسبقة. (Wolfgang, 1994, p13) إلا أن هذا المرام يبقى عبارة عن فرضية مجردة لا تصبح ملموسة إلا إذا تجسدت على أرض الواقع، لأن الممارسة الميدانية أثبتت أن الجدلية التي لازمت الترجمة منذ نشأتها بين الأمانة للنص الأصل والرضوخ لمتطلبات اللغة والقارئ في النص الهدف لا تزال قائمة، فهي تضع المترجم بين اختيارين: إمّا إعطاء الأولوية إلى لغة الأصل أي احترام معاني النص ومميزاته اللغوية والثقافية ووقفا عند متطلبات الحوار والتبادل بين الثقافات، وإمّا إعطاء الأولوية إلى لغة الوصول بإخضاع المميزات الثقافية تارة للطمس أو التشويه وتارة أخرى للحذف قصد حجتها عن القارئ، وعادة

ما تجد هذه الإجراءات دوافعها في الأيديولوجية التي تُحدّد الاختيارات والقرارات التي يتخذها المترجم قصد التحكم في عمليات التواصل والتبادل. فبين هذا وذاك، نجد قرارات المترجم مهما توخى الحياد والدقة تعتمد على مبدأ المكافئ الذي يبقى دائماً وأبداً يتسم بالذاتية في كنف جميع النظريات.

5. قائمة المراجع:

- خورشيد إبراهيم زكي. الترجمة ومشكلاتها. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975
- كريم زكي حسام الدين: اللغة والثقافة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001
- BASTIN, Georges. «Adaptation». in M. BAKER (Ed). Routledge encyclopedia of translation studies.
https://elearning.unipd.it/pluginfile.php/mod_folder/content/Routledge.
- Berman, Antoine. *L'épreuve de l'étranger: Culture et traduction dans l'Allemagne Romantique*. Paris: Gallimard Coll. Tel, 1984
- Berman, Antoine. *La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain*. Paris: Seuil, 1999
- HATIM, B and MASON, I. *The Translator as Communicator*. 1997.
[ilts.ir/Content/ilts.ir/Page/ContentImage/Translator as Communcator](https://ilts.ir/Content/ilts.ir/Page/ContentImage/Translator%20as%20Communcator)
- HOUSE, J. *Translation, The Basics*, Routledge, London and New York, 2018
b-ok.africa/book
- Hurtado, A. A. *La notion de fidélité en traduction*. Paris: Didier Erudition, 1990
- KRAMSCH, Claire, *Language and Culture*. Oxford University Press, UK, 1998.
- LEFÈVRE, André. *Translation, History, Culture*. London, Routledge. 1992
b-ok.africa/book
- LEFÈVRE, André. *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literature Fame*. Routledge, London and New York, 1992a
b-ok.africa/book
- LEFÈVRE, André. «Mother Courage's Cucumbers: Text, System and Refraction in a Theory of Literature». in Venuti. L. (Ed.) *The Translation Studies Reader*. London: Routledge, 2000
- MOUNIN, Georges. *Linguistique et traduction*. Bruxelles, Dessart et Mardaga, 1976
- Nida, Eugène and Taber Charles. *The Theory and Practice of Translation*. Leiden: E.J. Brill, 1969
- Schleiermacher, Frédéricque. *Des Différentes Méthodes de Traduire*. Traduit de l'Allemand par Antoine Berman. Paris: Seuil. 1999
- TOURY, Gideon. «The Nature and Role of Norms in Translation», in Venuti. L. (Ed.) *The Translation Studies Reader*. London: Routledge, 2000.
- VAN DIJK, Teun. *Ideology, A Multidisciplinary Approach*. 1998
[www.discourses.org/OldBooks/Teun A van Dijk - Ideology](http://www.discourses.org/OldBooks/Teun%20A%20van%20Dijk%20-%20Ideology)
- VENUTI, Lawrence. *The Translation Studies Reader*, Routledge, London; 2000
- WOLFGANG, Iser, *On Translatability, Surfaces*] en ligne [, 1994, vol 4
<https://doi.org/10.7202/1064971>(consulté le 10/08/2017)

(643 هـ) شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب، (د.ت)